دُموعُ الغَرَام

الحَياةُ نِعمة والحُبُّ لهَا شِفاءُ ،هو السَعاَدة والنورُ الذي يَأتي من القلبِ لا من العيونِ.

كَيف عنكَ أتُوبُ والقَلبُ فيكَ يذوبُ ، أحبكَ بإختصَارٍ وأعيشُ لكَ فأنتَ البَراءَة في رَونقِها ، والجَمَال الروحِي وسِحْره ، أنتَ أمَلُ القلبِ المشرقِ مع كلِّ يوم .

جَلستْ على دَرجة بَاب المنزل تستحضر الذكريات ، وكأنَّه غاب عنها منذ سنوات تَتَوعَده بالردِّ على وَجَع سَبَّبَه لقلبها تارة ، وأخرى تفصح له عن حقيقة حُبِها له ، لا تَدْري كَيف تَتَصَرَّف ، لكنَّها تَعود وتتذكَر أنَّهَا تَعيشُ وَحيدةً بَعيدةً عَنه .

تَعرَّفت "أريج" على مَالك من مَحْمُولها ، فكانت ذاتَ مساءٍ جَالسة وحيدةً ، حَمَلت هاتفها وشَكَّلتْ رَقمًا وعَلَّقت عليه حَظَّهَا ، فَردَّ عَليها شَابٌ ، إعْتَذَرت مِنه أريج و وضَعت هاتفها ، ومن تلك اللحظة وهي تشاكسه على هذا الرقم ، حتى بادلها الرد ، وبعد أسابيع تواصلا وإلتقا في وسط المدينة " ببقعة زواوة" التي أصبحت لها بها ذكرى لقائها وتَعرفها لأوَّلِ مَرة على مالك .

تَتَذكر كلَّ خطوة من مَاضِيها الغَرامِي ، ذاكَ يوم السبت وهو يوم عطلة ، تبرجت أريج ، وسَرَّحت شعرها ، ووضعت على جُفونِها لونَين أخضَر وأحمر ، فتوضحت عيونها السوداء الدائرية ، وعلتها حواجب بشكل الهلال ، ووضعت على خدودها اللون الوردي الفاتح ، فبان وجهها الأبيض الدائري ووسطه أنف مُدببٍ ، لبست سِرْوال أسود وقميص أصفر ، وغَطت جَسَدها بِمِعطفها الشتوي الأسود، وحملت حقيبتها وخَرجت ، وصَلت أريج إلى وسط المدينة ، ووقفت عند كشك الهاتف العمومي ، لقد قالَ لها أدخلي ، ودَخَلت حتى وجَدته أمَامها ، شابٌ على قدرِ طولها مُكتمل الجسد ، ذو عيون رمَادية ، وأنفٌ شامخٌ ، وجْهه الأسْمَر أكمل رجولته ، لَطيفُ النظرات ، يلبسُ معطف أسودٌ ويضع "شاشية" شتاء على رأسه الأصلع .

خَرجا ساعتها من الكشك ، وسارا معًا يتفرجَا على محلات صِيَاغة الذهب

المُتراصَة على جانب الشارع التجاري .

كانتْ عيون الفتاة مفتوحة ، وكلَّ منافذ وعلاقاتها مع الخارج مسدودة ، تستعرض الآن عَالمها الخاص .

تُنَاديها والدتُها من الداخل أن تعالي أحتاجك في المطبخ .

تتنهَّد وتُغمض عَيناها وترد على والدتِها : حاضر .

يَمرُ الزمن وتقترب شمس المغيب من الزوال ، وهاهو الظلام يرمي بغطائه على الأماكن ، وتعلو الوطاوط وتنخفض ، تتراوح في الظَلاَمِ .

تجلسُ "أريج" وحِيدةً بغرفتها تتأمل وتعيد ذكرياتها ، وفجأة يرن هاتفها المحمول تميل تبحث عنه تحت ركبتها ، ومن حولها فتجده بجانب وسادتها ، تسرع وتحمله بيمناها وهي مشوشة تتأمل الرقم ، لكنها من مجهول ، تفتح الخط وتقول :ألو

يردُ الصَوت نعم هذا أنا يا أريج .

تفتح عيونها وتتبسَّم كمن نسيتْ كلَّ همومها :

ومن أين تتكلم مِن هنا أم من الخارج ؟

مالك : بل من هنا أنا بالمدينة ، هل يمكن أن نتقابل غدًا ؟

أريج : في المدينة ؟

مالك : بالطبع .

أريج : كلمني مع الصباح لنحدد مكان اللقاء .

مالك : لقد إشتقت إليك كثيرًا لا تتخيلي كم أشتاق لرؤيتك .

أريج : ألم تغيرني بأخرى ، النساء كثيرات فما بالك بنساء أوروبا ؟

مالك: ومن قال لكِ أنني كنتُ في أوروبا ، كنت في العاصمة لقد أصبحت أعمل في البنك الخارجي الجزائري منذ خمسة أشهر .

أريج : كلُّ شيء مبروك ، إذن نلتقي غدًا ونُكمل البقية .

مالك : سَأكلمكِ في الصَباح ، لكن قبل أنْ نفترق أعْطيني قُبْلَة .

تُقرِّب أريج شِفاهها من المَحمول وتَطبع عَليه قُبْلَة فَيردُّ عَليها بالعديد منها وبحرارة

مالك : إلى الغدِ .

طويلُ أنتَ ياليلُ عن نِيام ملأ الليَالي ، طَويل عن من يُعاني ، في قلبِي قِصَة طويلة للحُبِّ ، عُنوانها الإحْساس بغرامك يزاحم كل شعوري ، كل يوم أكتب سطرًا ، و ياليت حَتى تَنتهي ، ويَجتَمع قلبي لقلبكَ ، ويَبَثُ لكَ مَا يَحْمِله ، ويقرأ عليك شوقي وما كتبَه قلبِي لكَ .

لن أكتفي بعيونكَ في منامي ، وأنا أدرك أنَّ كلي لكَ ، وأنتَ سِرُّ راحةُ أيامِي .

الأحاسيس وإن كانت أوقات فإنني أحسُّ بها مرادفة لزماني ، أحاسيس الأمان و السعادة ، لكن من الصعب دوام هذا الشعور الجميل بالروح ، فلا أدري ماذا أقول لأنَّني أحُسُّكَ كالطيف ما إنْ لَمستك عني غِبت .

....

هاهي "أريج" تتجمَّل فتشرق مثل الضوء ، وتلبس أجمل الهندام ، فتظهر صُورتها الجميلة وهي تتراوح أمام المرآة ، وقلبها مخبأ سري لكل أسرارها وحكاياتها معه فالحبُّ أعمى بَصيرتها ، وما عاد معها غير نِصف ساعة لتلتقيه منذ خمسة أشهر خَلتْ ، لا من يَهتم لها في البيت وقد إنصرف من فيه لأشغاله ، و تسير خطى واسعة خفيفة عن الأرض ، شعورُ الفراشة المُتنقلة بين الورُود يَحتويها ، ولا يَحْمل عليها شيء ، الحياة أمَامها قادمة ، ولا تَختار وليسَ عَليها ما تهتمُ له .

وهاهو يرن هاتفها وهي في الطريق :

أين أنتِ ؟

أنا في الطريق ، سأصِل بعد حين .

يغلق الهاتف ويرفع رأسه فيجدها أمامه تقف وهي تتلثم ، يتقصَّد عيونها فتزيح اللثام

عن خُدودها لتُقبِّل خدوده وقد إقترب منها ووضع يديه في جيوبه وقال :

أنتِ كما تَركتكِ ، جَميلة وهَادئة ، إشتقتُ لكِ كثيرًا.

أريج : خمسة أشهر ، لم تهتم ولم تكلف خاطركَ بإرسالِ رسالة حتى في عيد رأس السنة الميلادية ، إنتظرتك ولم تهتم لي .

مالك : يَرفع حواجبه وقد نال منه الإهتمام بها أيما منال :

لم تفارقي خيالي ، ولم أكن أغمض عيوني إلاَّ على صورتك ، أحبكِ وما من إحساس يرافقني غير الإحساس بحبك .

يسيران جنبًا إلى جنب ، وهي تنظر إلى الأرض تتجنَّب نَظرات السَائرين حولهما وهو ينظر في كل مكان ويردُّ السلام عن من عرفه .

اليوم الجمعة والناس في عطلة نهاية الأسبوع ، معظمهم شباب من هم بالشارع وبمحطة الحافلات ، تنظر إليه وتقول :

لماذا أنتَ هنا بالمحطة ؟

مالك : اليوم أعودُ إلى العمل ، لقد كانت عندي عطلة ليوم فقط .

أريج : لقد أصبحتَ مُهمٌ ، ولا من تَهتم له .

مالك : لا تقولي هذا الكلام ، لقد إنتظرت لقائكِ هذا زمان ، وهاهي الفرصة تحن .

تتنهَّد أريج وتصدر أنفاسها صراخ صامت من الأعماق ، تعمق النظر ، وتتلفت إلى بائع الجرائد وتشتري جريدة ، وترفعها بيمناها :

لماذا لا تريد الزواج و الحمد لله أصبحت تعمل ؟

مالك : لا أريد ، أتمنى شراء سيارة .

أريج : وهل السيارة أفضل مني ؟

مالك : لا أنتِ كلَّ حَياتي ، لكنَّها الظروف والتي لا ترحم ، يسيران بساحة المحطة ولا يهمهما من ينظر إليهما ، لقد كانت الفتاة فرحة مسرورة بفتاها ، وأنست وجوده

بعد إنقطاعها عنه ، لم تعاتبه ولم يبالي بإنقطاع رسائلها له لأنها كانت تنتظر منه أن يأتيها لمنزلها لكنه لم يفعل شيء ، وسمعته وهو يتحدث عن أحوالها ويسألها عن حياتها فتجيب ما إستطاعته .

سألته :هل نذهب إلى قاعة شاي أو بتزيريا ؟.

هنا تشاهد أريج فتاة شابة تحمل وردة حمراء ، وشابٌ في عمرها يسيران جنبًا إلى جنبٍ ، يتبادلان الحديث ، نظرت إلى عيون مالك ففردَّ إليها النظر وهو يتأمَّل الشابين المارين أمامهما وقال :

لا.. لأنَّ حقيبته بالحافلة وهي على أولى المقاعد ، لأنه مسافر الآن .

تبسمت أريج ولم ترد عن كلامه فما يهمهما هو راحته ، وما فعله هو ما يريحه وحتى وإن كانت رأته لزمن قصير ، فهاهي تودعه ، وتتمنى له رحلة سعيدة .

وركب الحافلة وهي تنظر إليها ، وتبسم لها وأشار إليها بيمناه إلى اللقاء .

هاهي أريج تسير وحيدة بالشارع تعود من حيث أتت فحظها من الحياة تعثر و حبها لم يكمل معها رحلته ، فمالك حالة غريبة ، شاب يحبها وتحبه لكن علاقتهما لم تثمر بالزواج ، يرن الهاتف .

أينَ أنتِ ؟ هل وصَلتِ ؟

تردُ : ماهذا الهراء وهل بيتي قريب لهذه المسافة ؟

مالك: لقد إشتقت إليكِ ؟

أريج : قل غير هَذا ، أنتَ غَريب ، ولقد تضَاعفت غَرابتك ؟

مالك : لا أهتمُ لشيء غير أنني أحبكِ .

أريج : إغلقْ الآن فأمامي أصْدقائي ، كلمْني فيما بعد.

الحُبُ الذي بينهما أجدف بعيدًا والعودة منه صعبة ، لقد ألفت الفتاة إتصالات مالك حتى ولو لم تراه ، لكن مواجهته بالزواج بقي عاصفة دفعتها إلى البعيد ، فالزمن

يسيرُ ، والأيام لا ترحم ، والوفاء للحُب لا ينفع ، لكنَّه بالقلب باقي ، والدموع صعب عليها النزول رغم وجع القلب ، ورغم توسع المكان فالقلب مرات كثيرة يضيق فما أصعب أن ترى النور ظلام والفرح والسرور من الأوهام ، والهيذان .

تجلس "أريج" تُرَتب حقيبتها ، غدًا صباحًا تلتحق بعملها باكرًا ، وهي حديثة العهد في عملها ، عام ونصف مَرَّ على تَحَصُلها لمنصب سركرتيرا بوزارة الثقافة ، و عليها عدم التخلف عن مواعيد إلتحاقها بعملها ، فمديرها يتبع كل العمال ، ونهاهم عن تجاهل دَوْرِهم أو التهاون في أعمالهم .

هاهي شَمس العشية تَرسُم خطَّ إنْحنائها ، وإنحدراها الغير اللافت لقُرصِها الأصفر الباهت ، وتوارت نصفها بغيوم تتراقص أمامها وكلما غمزت تتبسم الأجواء وينتهي التضمر من البرودة القارصة الساكنة في النفوس ، لكن نور قلب الفتاة وظلامه أناره أمل لقاء القلبين ولو عبر الهاتف ، يكفيها سماع صوته ففرحها يأتي من قلبها المُرهَف المليء أحزان والمكان به لا يتسع لكل المشاعر ، ولقد منحت مالك كل ما تملك هذه مدة أربعة سنوات خلت .

ما أشقى قلبها ، الذي يعش قصة حب فارتها النظرات والرؤى ، وتاه دربها فحبيبها لم يمنحها ما تتمناه كل فتاة ، ولم يعدها لا بالقريب ولا بالبعيد ، لكنها مأساة إذا فارقها فلقد ألفت صوته ، وأحبَّت مواعيده ، صعب عليها أن تتركه يرحل أو يفارقها فقمة الحزن أن ينفصل قلبها عن قلبه .

الساعة تقارب الخامسة مساءًا ، لقد إنتهت من ترتيب مستلزماتها تحمل هاتفها المحمول الذي يرن ويظهر رقمه على الشاشة ترفع الهاتف وتفتحه :

ألو هذا أنتَ ؟

مالك : لم تفارقي ذهني منذ تركتك ، وكانت لي العديد من المشاغل فلم أستطع مُهاتفتك حتى هذه اللحظة .

أريج : لا أقدر على لسانكَ ، غريبٌ أنتَ بطبعكَ ، فأرحْ قلبي وقلبك .

مالك: لا أستطيع الرد على كلامك ، لكن ..هل نلتقي الخميس القادم ؟

أريج: ماذا هل هو يوم عطلة لك ؟

مالك : ليس كذلك لكنه يوم اَخذ بنفسي لأرتاح وأعود إلى البيت .

أريج : نلتقي بعد الساعة الثالثة ونصف .

مالك : حتى الساعة الخامسة أنتظرك .

أريج : ألا زلتَ تُحبني ، ألا زال قلبك يَحمل إحساس الحبِّ إتجاهِ ؟ كم أتمنى أن أسمع ما يحمله قلبك الاَن ؟ ولا يسعني غير الرذوخ إلى ما تريد ، لقد كتبت لزماني العمر الجريح ، والقلب لا يمكنه غير الإنصات والتحمل من الحبيب .

مالك : أحبكِ ، وأحبُّ سماع صوتك وصورتك ، وأعشق حتى ضحكتك ، وحكاياتك لكنه الواجب الوطني ينادي .

أريج: ومنذ متى هذا الكلام ، ولقد عرفتك مستهتر غير مبالي ولا مهتم ، ثم قل لي هل سأحارب أم أريد الزواج ؟

يَضحك مالك من كل قلبك وفي دعابة ، لا تريدين الزواج لا المحاربة ، لكن هذا نتركه للزمن .

أريج : يُخيفني كَلامك ، لكن نبراتُ حديثكَ تُريحني ، ورغم صعوبتك مرات إلاَّ أنَّ قلبي لا يريدُ غيركَ..وصَمتتْ حتى قالَ : ألو ..أين أنتِ ؟

أريج : أنا معكَ ، لقد أحببتكَ يا مالك فلا تكنْ قاسي على قلبي ؟

مالك: بشرفي لم أحبْ ولن أحبَّ سواكِ ، لكن صعبٌ عليا ترك كل الأشياء لأنَّه إذا غابَ الحُبُّ ماذا يبقى للقلب ؟ يقفُ قليلا عن الكلام ويواصل :

هيا أعطيني قُبْلَة قبلَ أن نفترق ، سأكلمكِ في الصباح قبل أن تلتحقي بعملك .

تطبعُ الفتاة قُبْلَة على المحمول بينما يطبع حبيبها عدة قبل متسارعة ومشدودة

مُصدرًا صوتًا في سامعيها .

تنصرف أريج إلى فراشها وعيونها تحلم ، لم تتحدث اليوم إلى أخواتها البنات كما إعتادت في بقية الأيام ، ولا لأمها التي إعتادت الأخذ معها في كلِّ أنواع الأحاديث وكانت أكثر هدوءًا ، وعيونها تغفو عن ما حولها .

وضعت رأسها على الوسادة ، وتلفتتْ ذات اليمين ، أخذت المحمول بين يديها و بحثت عن رقمه وضغطت عليه ثمَّ تراجعت بسرعة .

رَفَعَت رَأسَهَا إلى السقف وقالت :

لا أدري ربما يكون الغد أفضل من اليوم .

أريج متفائلة ، وتزداد أملاً كلما تحدثت إلى "مالك" فهو الوحيد الذي يَمُدها بهذا الإحساس الجميل ، وقلبها لا ينسى من كان إلى جانبها حينما إحتاجت إلى من يرافقها أيامها .

بحثت أريج عن السعادة بداخلها ، فشعرت بدفئها وهي وحيدة ، وجعلت سرها بين نفسها وربِّها لأنَّ لا هدف لها في غيرها .

وفجأة رنَّ هاتفها إنَّه رقمه وفتحت الخط لتسمع حديثه :

كيف أنسى وجهك ، وهو يرافق نهاري وليلي ، حتى أنني ورغم بعادي أراكِ في أحلامي . وغلق الهاتف .

وهاهي جفونها تتراوح تارة ترفع وأخرى تغلق ، حتى تذبل وتغفو في أحلام تجد فيها حياتها ، وتغذيها لمسة الحب والعطاء ، الحب زارها، و إقتحم قلبها ، وتعيش مشاعر الرضى وبراءة الصغار ، حتى وجد كل شعور لها درب بها ، وتفتحت على من حولها وأقبلت على الحياة متفائلة .

....

هاهو الصبح ينقشع ضياؤه بهدوء ، أنوار الشارع لا تزال تنير الطريق ، فغيوم

الشتاء كبست على الأحوال ، تجملت وتعطرت أريج ، ولبست تنورة سوداء ومعطفها الأسود الشتوي ، وإنتعلت حذاء مقاوم للبرودة ، حتى ظهر عليها تطويقها لجسدها وحمايته من كل برودة ، وتحققت مقاصد لها ضمنت لها الحماية والقوة .

هاهي تسير بإقتدار ومساعفة ، سالكة مسلكها المألوف إلى محطة طاكسي ، تريد الإسراع إلى الوزارة ، وإلاَّ غضب عليها مديرها .

خطواتها ميزان الصلابة والسلاسة ، وتجمعت في عيونها إشراقة الحب والنور يرن محمولها فتسرع لوضع يدها في جيبها ، ترى رقمه فتفتحه :

صباح الخير ؟

فيردُ عليها وكيف الحال ، لم أستطع مباشرة عملي دون التسليم عليك .

أريج : صباح الخير ، أنا في طريقي إلى الوزارة .

مالك : سَأكلمكِ على الثانية عشر ، هل تكوني في راحة ؟

أريج : بالطبع فلنا هنا ساعة ونصف للراحة ونعود للعمل في الفترة المسائية .

يودعها متوعدًا لها بمكالمتها في نفس الزمن .

في الوزارة تجلس أريج لصديقاتها اللواتي يتجاذبن الأحاديث حول مشاغلهم فهذه ربة بيت ، وأخرى قرأت فاتحتها ، وثالثة تنتظر الفرج ، أما أريج فلم تحكي شيئًا عن نصيبها ، فمن غير اللائق أن تتحدث عن شخص تعرفت به عن طريق المحمول ، أو أنها تلتقيه وتتحدث إليه ، وماذا تقول وقد إمتنع عن الرد كلما أتت بسيرة الزواج والأسرة ، وهل تقول لهم أنه ينوي شراء سيارة أم كلام يفهم من هذا المقصد لا تدري ماهي فيه .

صَمتت أريج وأنصتت ، وجمعت يديها إلى بطنها تنظر في صديقتها "دينا" ، لم يُحقق سُكونها ما ميزَّ كيانها ، ولكنَّها صَحَّحَت مُرادها في هذه اللحظة .

وَجهها ظهرت عليه علامات الإعتراض والغرابة ، لا تفاؤلٍ ولا حيوية .

تحققت لها مَقاصد وتمنيات في الحياة ، وضمنت الريادة والقوة لنفسها تماشيًا وأيامها فتوسطت الإختيارات فأرضت نفسها ومن حولها .

رنَّ هاتفها وهي على مائدة الغذاء لعدة مرات ، وغلقته عدة مرات ، وبمجرد ما إنتهت ، نَهَضت عن مجلسها وإنصرفت إلى مَكتبها ، رفعت الهاتف وضغطت على رقمه فأعاد مُهاتفتها مباشرة .

مالك : ماذا هل أنتِ حُرة الآن ؟

أريج : بالطبع ، ماذا كيف الأحوال ؟

مالك : وصَلتُ البارحة باكرًا إلى العاصمة ، كل شيء مغلق ، كنت أريد أن أشتري لك هديه ، لكن كل شيء كان مغلق .

أريج : هذا لطف منك ، إذن أنتظرها هذا الأسبوع ، متى تأتي ؟

مالك : يوم الأربعاء مساءًا وسأكون بالمدينة على الساعة الخامسة ، نلتقي يوم الخميس في المساء .

أريج : بالفعل يوم الخميس مساءًا ، لأنَّ لي مدير صعب ، لن يسمحَ بالغياب ولو بربع ساعة .

أخذ الحديث بينهما منعرجًا آخر فدخلوا مسالك الغرام ، وصافحا قلبها كوامن قلبه حتى كاد ينسى مباشرة عمله ، سألته أريج عن أحوال الناس هناك ، وفتيات العاصمة الأنيقات ، وجمال الأوقات ، فكان يرد عليها بطلاقة وبلطافة أنَّ لا شيء أجمل من عيونها ، وأن سماع صوتها يغذي يومه ويملؤه بالحيوية والنشاط وكم هو وحيد وخاصم للأوقات بدونها .

مَرَّ من الوقت نصف ساعة ، ولم يحسْ كِلاَهُما بما كان معهما ، بل راح الكلام يجلبُ آخر ، وبعناية وبدونها سافرا معًا إلى حدائق الورود التي لا تَعرفُ غيرَ

الجمال والحب .

قالت أريج : كنتُ أشوفك من بعيد ، أسمع صوتك فيظهر لي من الوهم تخطي العتبة ، لكن وأنت معي الآن فأنت أقرب الناس إلى قلبي ، شخص عادي ، بل لطيف أكثر مما إعتقدتُ ، وأصبحت بفكري رايح غادي ، خليك بجانبي قريب وعني لا تغيب .

أحبَّه قَلبَها ، وبادلها نفس الشعور ، وتواصلت علاقتهما هذه ثلاثة سنوات متتالية لم تعرفْ فيها أريج حبيبًا لقلبها غيرها ، وأنست فيه المودة والميل والوفاء ، فالحُبُّ وفاء للقلب ، وتمام السعادة قبل أن يكون رفقة وكسب .

تواعدا على اللقاء بمدينة مستغانم على أن يذهبا صَباحًا ويَعودا مع المساء ، لكنَّها رفضت بحجة عملها وتوقيته الإلزامي ، ووعدته بالذهاب معه إلى مستغانم في العطلة السنوية القريبة .

لكنَّهما سيلتقيا في وسط مدينة الشلف مع المساء ويتجولان معًا في أزقتها لأنَّها تريد شراء بعض الملابس من "بقعة زواوة " وهو شارع تجاري معروف في مدينة الشلف ، يفتح كلَّ يومٍ صباحًا ومساءًا ، ويؤمه الناس والباعة من مختلف الأماكن من دوائر وبلديات الولاية ، وتباع فيه كل أنواع المبيعات ، كما أنَّ السلع بها منخفضة المبالغ مقارنة مع الأماكن الأخرى .

تَمرُّ الأيام الربيعية الدافئة ، فهذه خضرة تملأ الشوارع الترابية ، وهذه أزهار تزين المكان ، وفراشات تشدوا الألحان ، وإنطلق الإنسان يَجلس ويستمتع بكل مكان ، وظَهر العشاق في الحدائق ، والشارع يعشن ساعات الغرام .

لم يعد هناك برد الشتاء المانع لتواصل القلوب وبزغت أشعة الشمس تُرطِّب الجو وتعطِّر الأماكن ، حتى ظهر ما بالقلوب وعلا صوت الحمام ، وباضت في أوكارها وإستعدت إلى حَضنِ صغارها .

وصل يوم الخميس من شهر مارس ، وهاهي تنتظر منتصف النهار ليهاتفها مالك ، لقد هاتفها على الساعة التاسعة ، يستفسر على أحوالها ، ويعدها بموافاتها في مساء هذا اليوم .

خرجت ربع ساعة قبل توقيتها الرسمي ، وأسرعت إلى محطة المسافرين وأخذت سيارة طاكسي إلى وسط المدينة ، ومن بعيد وهي لا تزال بسارة الطاكسي بحثت عنه بالمحطة ، حتى ظهر هناك خلف سيارة الطاكسي الصفراء .

ونزلت لكنها أشارت عليه بالسير أمامها حتى يبتعدا عن أعين النَظرَ المتتبعين لها ومنهم من يعرفها ، فسار وسارت خلفه .

وما أنْ شعر ببعده عن الأنظار توقف حتى سارت إلى جانبه .

مالك : ألا تُقبلِينَني ؟

مال برأسه نحوها ، وأنِسَتْ فِعلَه حَتى قَبَّل خُدودها .

سألها عن أحْوالها وعَرف منها إشتياقها له ، كما لم يخفي عشقها لنظراتها وهَمسَاتها التي ترافقه ، وأنه لم ينصرف إلى البيت لأنه لن يستطع الجلوس في خلوته ولم يراها ، وإقترحت عليه كما تحدثت معه في الهاتف أنَّها تريد التجول في "بقعة زواوة" الشارع التجاري .

وبعد أقل من خمسة دقائق دخلا الشارع ، وإنصرفا إلى بيتزيريا شهيرة هناك جلسا إلى بعض يتحدثَا ، وكان كُلمَا نظر إلى عيونها تبسمت في وجهه .

أخذهما الحديث عن كل شيء عن الحُبِّ والخيال عن الأحلام وما يحكي فيه العشاق ، وهما كذلك مرة موكب زفاف بقرب البيتزيرا وعلت أصوات الزغاريد من حناجر النسوة ، وطبول "القرقابوا" الشهيرة المرافقة لمواكب الأفراح .

وما إن مرَّ الموكب حتى قال :

أنتِ عزيزة على قلبي فلا تشك في أمري .

أريج : وهي تنظر إلى عيونه وتتعمق فيهما ، لكن زواجنا لا يهمك ؟

مالك : لست مستعدًا هذه الأعوام .

أريج : كما ترى لا إعتراض على قولك .

يشير عليها إن إنتهت يستطيعا الإنصراف ، يحمل حقيبة الظهر ، ويدخلها في يمناه ويجعلها على ظهره .

سارا مترافقان وضع مالك يديه في جيوبه ، وتأبطت أريج حقيبتها ، وهي تسير إلى جانب حبيبها لا من يسترعيهما بالإهتمام ، فلقد أوصاها مالك بلبس الملابس المحتشمة لأنهم وسط أناس محافظين ، وشوارع تتلفت للداخل والخارج منها .

وعلى توافق على طول المسير ، فكانت أريج تتبسم لفتيات المدارس وهن يشرن عليها وعلى عشيقها وهما يسيران جنبًا إلى اَخر ولكن مالك كان صامتًا لا يتكلم هاهي محطة المسافرين تظهر من بعيد ، فيشير عليها مالك أنه سيتركها وعليها بالعودة إلى البيت باكرًا .

كانت الساعة تشير إلى الخامسة وربع مساءًا ، وفجأة نظرت أريج إلى يديها فوجدتهما فارغتان .

أريج : لقد نسيت ما أردت شراءه من ملابس من "بقعة زواوة"

مالك : حتى أنا نسيت ؟

وتواصل أريج سأعود يوم السبت صباحًا ، فهل نتقابل ؟

مالك : سأسافرُ صبيحة يوم السبت لأنني يوم الأحد سأعمل صباحًا .

أريج : كنتُ أتوقع منكَ ذلك سأنتظرُ مكالمتك .

ينظر إليها مالك ألا تريدين تَقبيلي ؟

أريج : مُتبسمة وليكن ، تطبع على خدوده قُبلة ويتوادعا ويفترقا .

سارت لا تلتفت خوفًا من أن يراها أحد هنا ، وحتى لا يعرف أحد من أين تأت

....

يسير جمال الصبح بعيون الناس ، وكل إلى هدفه سائر ، نور الشمس مرسوم منذ شروقها إلى غروبها ، وكل خفوت أو همس لأشعتها .

فأخذ كل قلب له من حنانها ، وتشعر بجنبها بالدفء والأمان .

غاب عنها مالك وتشعرَّت أريج بأهمية غيابه ، فأحست بحاجة روحها إلى قلب يسمعها ، ووقفت على حطام قلبها الذي يحمل له أثر كلامه تقول :

عندما تلمسني بيديك أحس أنني أعيش بقلبك ، لكن سنة وسنتين ثلاثة نعيش أحلى غرام ، ولا تزال لم تُظهر لي ما مرادك .

عن قلبي لستُ مسؤولة ، لأنني أريد أن يكون لي بيت وأسرة ، ولن تنفصل روحنا عن بعض ، ولن يكون بيننا فراق .

لقد أخذتُ من الدنيا الحب ، وغلقت بابي بهدوء ولطف ، وصمتت لأنَّ قلبها كان في قمة الصبر على الرغم أنَّ في قلبها جرح يتكلم .

أريج فتاة جميلة ذات قد نحيف وقوام واقفة ، لها شعر أسود دائبة على صبغه باللون الأصفر ، وبشرتها بيضاء ، لها أنف يمتد بين العينين ، وعينان سودوتان وفم متوسط الحجم ، لها أخلاق ومستقبل مشرق جعلها حلم كلَّ رجلٍ .

أحب قلبها الشاب مالك الذي يكبرها بثلاثة سنوات ، ومَرَّت مثلها على علاقتهما التي لازالت تنتظر مفتاح إرتباطهما الأسَري .

هذه الأيام سيأخذ مالك عطلة لمدة أسبوع ، ووعد أريج بلقائها يوم السبت ، مساء كل يوم ، سرَّ قلب الفتاة وتراقصت جوارحها ، وراحت تسمع نغم قلبها .

وجَاء يوم الخميس وإلتقى العشاق ، ولم يغادرا المدينة إلا بعدما تواعدا على اللقاء صبيحة يوم السبت .

عادت أريج وحيدة إلى البيت ، وفي سيارة الطاكسي جلست إلى جانبها صديقتها

"فرولة" فراحا يتحدثا عن ما يحدث معهما مع الأيام ، وفرولة تسكن ببلدية الكريمية لن يكون لها لقاء اَخر مع أريج التي راحت تحكي لها قصة غرامها ومالك فتلفتت إليها "فرولة" :

لماذا لا تسبري أغواره ؟ فكيف لشاب يعمل ، وله كافة المؤهلات ، كما أنَّك تقولين أنَّ بينكم رسالة غرامية طويلة لا يريد الإرتباط بك رغم أنَّه يحبك ، ويرضاك زوجة له ؟

لم تجد أريج إجابة لأسئلة صديقتها التي راحت تحكي عليها علاقتها بزوجها الحالي ووالد إبنها الوحيد "شامي" ، وأنَّ علاقتهما دامت العام فقط وإرتبطا نهائيًا .

نزلت "فرولة" في أوَّل الطريق ، وودعت أريج مع تمنياتها لها بالسعادة والإقتران السريع بمالك .

وصلت أريج إلى البيت وتوجهت إلى غرفتها ، ثم جلست إلى أخواتها ، وتجاذبت أطراف الحديث مع والدتها ، ثم توجهت إلى سريرها في ساعات متقدمة من اليوم وراحت تعيد ما قالته لها صديقتها "فرولة" حتى أنها وجدت في كلامها الكثير من الصواب ، وأنَّ اَجلاً أم عاجلاً سترعى إهتمام من حولها وسيسألون عن عزوفها عن الزواج ؟ وأنَّ هذه المسألة تؤرق نوم جفونها .

في صبيحة يوم السبت تجملت وتعطرت ، حاولت أن تكون بسيطة في ملبسها حتى لا تلفت النظر ، وسارت إلى موعدها .

تواعدا العاشقان على الإلتقاء في وسط المدينة بقرب كشك الهاتف الذي دائبة لقائه به ، وراحت تتأنى وهاتفها فقال أنَّه اَت .

سارت أريج ووصلت إلى المكان والساعة تقارب العاشرة صباحًا ، لكنها لم تجد أحدًا في إنتظارها بحثت عيونها حولها ، ورَاعت وجوه المارة المتراوحين فلم يكن من بينهم .

ولكنَّ عيون بَعْضَ الشباب تَبِعتها فحاولت التملص من المُضايقات ، فَسارت تتجوَّل بَيْنَ المتاجر حتى لم تجد بُدٌ من الإنصراف إلى "بقعة زواوة" لعلها تستفيد من يومها أمام غياب مالك الذي لم يكلف نفسه رفع هاتفه والإعتذار لها .

مشت وحيدت تبحث بعيونها وسط الملابس والأحذية وكل شيء معروض ، لعلها تشتري شيئًا حتى ناداها صوت من الخلف :

أريج ..إلتفتت الفتاة فوجدته خلفها وهو يحمل جريدة .

مالك : ماذا بكِ ؟

وقفت الفتاة إلى جانبه وقالت :

أنا أم أنتَ ؟ قل لي كان موعد لقائنا على الساعة التاسعة وهاهي الساعة تسير إلى الحادية عشر ، أين كنت ؟ هل تمزح معي ؟

إستغرب الشاب لهجة الفتاة وحاول تلطيف ميزاجها بصمته ، لكنها أصرت على قولها :

لن نبقى اليوم معًا فعندي الكثير من المشاغل والأعمال سأغادر ؟

مالك (مستغربًا) ماهذا ؟ ألا نتحدث قليلاً لقد أخذت العطلة لأجلك ؟ أبهذه البساطة تغادرين وتتركينني ؟

أريج : قلت لك سأغادر ؟

تركتهُ خلفها وسارت تبتعد عنه حتى غَابت عن الأنظار وهو يتبعها ، ويُحاول قراءة تصرفها نحوه ، وهو من يعرف مدى حُبِّها له وتعلقِها بمَجلسه .

هاهو الوقت يمرُّ ، ولحقت الساعة تمام الخامسة رنَّ هاتف "أريج" وظهر رقم مالك على شاشة هاتفها ، ففتحته بسرعة وراحت تنصت لما سيقول .

مالك : ماذا بك اليوم ، كنت خلفك منذ وقفت أمام كشك الهاتف ، ولم تتلفتي نحوي حتى عندما إلتقيتكِ تركتني وذهبتِ ؟

أريج : كنت مشوشة لم أستطع البقاء .

مالك : من حقك وأدرك أنني أجحفت في حقك ، لهذا لم أكلمك حتى تيقنت أنَّك هدأت تمَامًا ، ثم قولي هل نلتقي غدًا بعد إنتهاء فترة عملك ؟

أريج : كلمني في الصباح ..

يرد عليها مالك أنها بين يومين تغيرت ، وأصبحت كمن تخبئ عنه أشياء ، لكن أريج رَدَّت بالعكس ، وظهر في كلامها أنه لا يهتم بمشاعرها ، في حين صديقاتها خطبن وتزوجن ، وهي لا تزال البنت الوقف .

إنتبه مالك إلى كلامها وردَّ عليها أنَّها مجرد أعوام ، ثم عاد وقال لها :

إذا خِطبكِ اَخر فلا ترفضي .

هنا رَدت عليه أريج : أو تنتظر أن يخطبني اَخر ؟ ماذا تريد قوله ؟ أنتَ معي ، و الكثير من الناس رأوني إلى جانبك وفي الأخير تقول تزوجي ، لماذا لا تَقلها بصراحة إبحثي عن شاب اَخر ؟

مالك : وماذا أقول لك؟ أنت تبحثين عن زوج مستعجل ، وأنا غير مؤهل للزواج فلا سكن ولا مال ، كيف سنعيش ؟

أريج : إذن ماذا تقترح ؟

مالك : نحن معًا ، وإذا خطبك اَخر فلا ترفضي ؟

أريج : شكرًا يا عبقري ، القلب يحمل شاب ، والجسد يتزوج شاب اَخر ، ماذا لو تستمر علاقتنا حتى بعد زواجي من شاب اَخر (بنوع من الإستهزاء)

مالك : أتمنى ذلك من كل قلبي .

لا أخالك تتحدث من عقلك ، لكنه ليس كلام العقلاء ، إنه كلام السفهاء ، أو تريد أن تعود بنا إلى زمن (الدعارة) .

مالك: حاشا لا أقول ذلك .

أريج : أتركني هذا الحين لا أريد الحديث أكثر .

يرد عليها مالك : هل نلتقي غدًا ، تصمت الفتاة وتقل بعدما يردد كم مرة ألو ..ألو

أريج : لا يمكنني أن أجازف بحياتي .

مالك : أحبكِ وأتمناك زوجة لي ، فلا تقسِي على قلبي .

أريج: والكلام الذي سَبق .

مالك : إنسِيه .

تَرد أريج كَلِّمنِي غدًا أعطيكَ الرد .

لا تَملك الفتاة إلاَّ قلبًا واحدًا يُحِب شخصًا واحدً ، وأيام عَرف فيها قلبَها إحساس الحُبِّ والأمان ، وهاتفًا يَرنُّ فتجده حَبيبها مالك يَسْأل عنها .

تجلس بمؤانسة أحلامها ، وأفكارهَا تذهب إلى وجه حبيبها ، وتعيد أقواله وتحاوِل تَصَفُّح أفعاله ، فاليوم لم يهتم لها بل تابعها ، وسار خلفها يرقب تحركها ، ولم يرد على أسئلتها ، تحمل الهاتف وتبحث عن sms لها عشرة رسائل مجانية لم تستغل واحدة منهم ، وراحت تكتب له رسالة قصيرة :

كيف حالك ، هل أنت بخير ؟ وشكَّلت إسمه وأرسلتها .

وراحت تكتب الثانية وتكتب له :

كَلِّمني إذا كُنتَ تحملُ وحَدات ؟

لم يردْ الهاتف عنها ، وكانت تعرف الردَّ ، فليس من عادة مالك الردَّ على رسائلها بل كان يحب رسائلها ويقرؤها ، يحب مداعبتها ويضحك لها .

حمل قلبها له أشواق كبيرة مكتوب في قصة طويلة ، عنوانها الحب الساكن بالقلب والذي لا زالت تكتب سطورها ، وتَمَنت لو تنتهي نهاية سعيدة ، نهاية عُشاق إجتمع بهم الحُبَّ ليحكم على قلبيهما ، ولا تزال الصفحات طويلة تنتظر ما يكتب عليها .

أريج لا تكتفي بمالك في أحلامها لأنَّ واقعها يرفض هذا التصرف .

ونظرت في هاتفها نظرات هادئة لها صراخ قوي يهز الأبدان .

بعد نهاية ساعات عملها في المساء بوزارة الثقافة ، حملت حقيبتها وخرجت .

ودون تفكير نزلت من الطاكسي وتوجهت نحوه كان هناك يلبس بذلته الرياضية السوداء ويقف بإنتظارها بعيدًا عن الأعين .

أسرعت إليه فقتلته ، ونظر إليها وتبسم :

أهكذا تفسدين علينا العطلة ؟ ، لو رضيت البارحة لذهبنا في جولة إلى مستغانم ؟

أريج : لا يهم ، فالشلف مدينة جميلة وإذا شئت نذهب لحديقة التسلية لنرتاح .

مالك : (وبلهجة غضبة) كم مرة قلت لك أني أكره هذا المكان .

أريج : إذن نحن هكذا أفضل .

يسيران مترافقان والصمت يحوم حولهما ، وكم مرة أعاد عليها :هل من جديد؟

فترد : من عندك ؟ فقالت : مالك هل تحبني ؟

فرد : وأكثر من أي شيء ؟ تسأله عن مصير علاقتهما فلا يرد ، وكانت إجابته ناقصة غير واضحة غير : أنني لا أستطيع الآن ؟

لم تتنازل الفتاة عن طلبها ، فلحدِ الآن لم يكتب لها ما تريد ، وحبيبها إلى جانبها يسير في وجهتهما شيخ طاعن في السن يقرأ جريدة ، الشيخ تعدى العقد الثامن يمشي بصعوبة وتأني ، صاحب لحية بيضاء ، ووجه أبيض وثياب بيضاء ينظر في صفحات الرسالة فيقول لها مالك :

شيخ طاعن في السن ولا يزال يقرأ الجريدة ؟

تنظر الفتاة الشيخ ولا تهتم وتواصل السير مع مالك ويتحدثان عن أحوالهما في العمل ، فهي تحدثه عن مديرها في وزارة الثقافة ، وهو يحدثها عن البنك و الزملاء ، كان السير بطيء ، لكن وجه كلاهما يحمل الصمت والحيرة .

قالت أريج : بعد أيام سيحل عيد المرأة .

فيرد مالك : جميل ، وماذا تتمني أن أهديك ؟

أريج : ماذا تريد العشيقة من عشيقها في هذا اليوم ، وردة أو ساعة كما تشاء .

مالك : عندما نلتقي سأحضر لك هدية .

حلَّ يوم عيد المرأة ، وهاهي الفتاة تستفيد من نصف يوم من يوم السبت ، يوم شمسه هادئة ودافئة ، وهاهي تستفيد من شهادة تقدير وعرفان لها ولكافة العاملات بالوزارة ، وإستفدن من هدية رمزية .

هاتفها مالك وتواعدا على اللقاء بحديقة وسط المدينة .

لكن وبعد قليل تغيَّر الجو وتلبدت السماء بسحب رمادية بهتت منظر النهار ، و راحت حبات المطر تعصر السحاب ، وتنثر لآلئ حباتها على الرؤوس بكل مكان أسرعا يحتميان بشجرة عارمة تحتها مقعد خشبي تركاه عاشقان قبلهما .

شاهد الشهادة والهدية فقالت :

وأين هي هديتي ؟

لم يرد عليها مالك وراح يقول لها : أنت من تهديني هدية أم أنا ؟ وواصل وهو يتبسم ، سأحضر لك وردة حمراء في المرة القادمة .

أريج : غريب أمرك ، لا أستطع فهمك ، ألا تحبني ؟ أتكون وردة بمناسبة عيد المرأة غالية عليا ؟

مالك : لا تذهبي بعيدًا ، يقترب منها مالك ويلمس يدها اليمنى ، ويتلمس عليها بيمناه ، تنظر إلى يديه :

هل هذا ما إتستطعته ؟

يرفع يمناها إلى شفاهه ويطبع قبلة عليها ، ويقترب منها ويضمها إليه ، لكنها تحاول التملص منه بحجة أنهما بمكان عمومي وكل داخل وخارج يراقبهما .

لا يهتم الشاب لما تقول بل يطبع على خدودها قبلة ، ويتمنى منها أن تقابله بالمثل

لكن الفتاة خجولة ، تحمر خدودها وترتبك ، ولا تستطع مقاومته ، يستمر مالك في مضايقتها والتحبب إليها حتى تتمنى منه أن يغادرا ، ينظر مالك إلى ساعته فيجدها الثانية عشر تمامًا ، تقترح عليه أريج أن يذهبا للغذاء في إحدى المطاعم القريبة لكن الشاب يمتنع تمامًا ويتحجج بالذهاب إلى البيت فهناك من ينتظره ، يسيران جنبًا إلى جنب في رقة ولطف ، حتى يخرجا إلى طريق بالحديقة معشوشب ، يقفا عند جذع شجرة "الكالتوس" العظيم .

يجذبها مالك إليه فتلتصق به ، وتجد وجهها في مواجهته فلا تقوى على صدِّ قُبْلَة شِفَاهِه على شفاهها ، ويلتصقا معًا حتى تحاول التهرب منه بحجة المكان عامر وقد يراهما احد الأشخاص ، لكن مالك يطمئنها ويرد على حيرتها أَنَّهما في مكان بعيد لا من يهتم لهما كما أنَّ السحب والغيوم والأمطار لا تترك لمراقب مراقبة صائبة .

يسيران طريق العودة فأريج تتجه إلى بيتها وهو كذلك ، فالمسافة بعيدة بين سكنه والمدينة ، لا تتجه الفتاة إلى مكان اَخر رغم كثرة أماكن الإحتفالات لأنها كانت لمدة نصف يوم مع عشيقها .

تسير ولا ترى من حولها رغم كثرة المارة وأغلبهم نِسوة من مختلف الأعمار يتحدثن ، ويتسوقن ويَحْملن الأزهار والهدايا ، لم تلتفت أريج ولم تهتم ، لكن نظراتها غريبة ، وعيونها حالمة ، حتى حركاتها تحمل طيف حبيبها "مالك" فملامحه بخيالها كل صباح ومساء ، وكلامه صدى بفؤادها ، تدغدغ همساته أحاسيسها ، وتشعرها بالدفء في وحدتها .

لكن ما يقلقها ، وفي غالب وقفاتها على كلامه ما تجده من تصرفاته وفي أقواله لأنَّه يرجوها فيهِ بتركه ، أو أن لا ترفض من يتقدم لخطبتها .

كلام يجعلها في منامٍ ، ويُوقظها على واقع أنَّها لغيره ، لا تدري ما تفعل ، وهي من

سَلَّمته مفاتيح قَلبِها حتى فتح خزائن أسرارها وسلبها أحاسيس كانت لن تكون إلاَّ لمن أحبَّها وأصبح زوجها والمسؤول عنها للأبد .

دموعها لا تكفي حتى ولو كانت بعدد حَبَات المطر ، ومَسْح أحاسيس عن قلبها لا يُمكنها لأنَّها تعدت حدود الخطر ، سَكن بقلبها هذا الشاب ، والعَودة ثلاثة سنوات إلى الوراء أصبح من الهراء ، صعب عليها إيجاد شخص يقرأ صمتها ، ويكلمها لحظة تريده ، ويفهم تصوراتها بسهولة ، شاب ذاقت معه طيِّب الأوقات ، وراعاها بالإهتمام ، شخص قال لها لا تخافي الأيام فأنا إلى جانبك أحميك ، وإذا إزداد المَدُّ علينا بالجذف معًا ، لكنها لا تقوى على التغاضي ، ولا تريد الإنتهاء إلى الغباء لأنه في الكثير من الأوقات كان لها واضحًا ، فلقد صارحها بكلام الحُبِّ والمُحِبُ لِمَصْلحة حَبيبهِ ، فعُمْرُ الفتاة ليس كعُمرِ الشاب ، وعليها كسب الوقت .

....

مَرَّت الأيام وسافر "مالك" إلى لعمله بالعاصمة ، لم يكلمها منذ أيام حتى رسائلها القصيرة لا يرد عليها ، وسافرت هي مع مشاغلها ، وإندمجت مع رفيقاتها في الشغل حتى إقترحت عليها إحداهن شاب يقربها يتيم الوالدين يريد فتاة طيبة ، ذات خُلُقٍ ودين مثلها ، لكن أريج رفضت وتحججت بأعذار كثيرة .

إستحلت أريج مُرَّ عشيقها ، ورضت بمشاكساته ، وعاشت مغامرة الحب معه، ومع الوقت لم تحس بفرق بينه وبين غيره ، المهم أنه معه .

مع المساء ، والساعة تقارب الخامسة رن هاتف أريج ، عشيقها يحدثها ، فأخذهما حديث العشاق وبان مابهما من ميل لبعض .

أريج : ماذا هل تريد إنْهاء المُكالمة ؟

مالك: لو كان عَليَا أريدكِ كلَّ يوم معي .

أريج : إذن نتزوج ؟

مالك: لا أستطيع الآن ، لا أحوالي ولا أوضاعي المالية تسمح .

ترد أريج أنَّ أحلامَها وهي إلى جَانبه سَتكون أحلى وستكون تامة ، ومتى فكرتْ في أنَّها سَتكون لغيره ضَاقَ عليها الوسع ، وأحسَّت بالخيبة .

ردَّ مالك أنَّه لا يهتم ولا يرد بالاً إلى كلام الشكوك ، فقلبه صاف نحوها ، وكلام العشق والغرام لا يسد الحاجة ، يحبها وكفى ، ويرضاها شريكة له .

حاولت أريج أن تغلق سماعة الهاتف لكن قلبها كان ينبض لسماع صوته ، ولم تنته المكالمة إلاَّ بعد نهاية المدة الزمنية للتعبئة .

....

في الصباح البَاكر توجهت الفتاة إلى عملها بوزارة الثقافة ، وجلست بمكتبها إلى رفيقاتها اللواتي رحن يتحدثن عن قراءة فاتحة نرجس على فريد زميلهم بالوزارة تعجبت أريج من هذا الزواج المفاجئ ففريد ونرجس إلتحقا منذ أسبوع بالعمل بالوزارة ، وهاهما يعقدان القران في نفس الأسبوع .

راحت تنظر إلى زميلاتها اللواتي ينتظرن الحلويات التي وصلت في حينها .

بينما إنصرفا الزوجان إلى مكتبهما ، وراحت الضاوية زميلتهم تحدثهم عن قصة عشق وغرام نرجس وفريد التي كانت في يومين ، ففي صبيحة إلتحاق نرجس بعملها دلَّها فريد على مكتب المدير ، وبعد قليل وجدها تجلس معه بنفس المكتب ، فعرف منها أنَّها عزباء ، وطلب يدها في تلك الأمسية .

دهشت أريج من هذا الإرتباط السريع ، كما لم تخفي تعجبها الشديد بأدب وصراحة فريد ، لكن فكرها كان مفتوح على الغائب الحاضر بقلبها وكيف لعلاقتهما بمثل هذه النهاية السعيدة ؟ وهل الإنتظار والصبر حل ؟

لم تعد أريج تستطع الرد على أسئلتها ، لكن ما فَائدة الأيام وهو بعيدٌ عنها ؟ حتى قلبَّها أصبح صعب عليها التَحَكم في أحاسيسه .

جلست في مكتبها وأخذت تعد الأوراق وترتبها لملف مهرجان "تمقاد" الذي لم يبقى على إنطلاقه إلاَّ أيام .

....

تمرُّ الأيام وتَعشْها أريج كما يَجب ، فمرةً تتعصب وأخرى تساعِف ، وكلِّ الحالات تعالج الأمور وتمر الأزمان .

هذه الأشهر تمرُّ ولم يهاتفها مالك ، ولم تحفل بمهاتفته أو إظهار إسمها على شاشته وكم إستغربت فعله وهو يظهر رقم أصحابه على شاشتها ، وفي حين يخفي رقمه الحقيقي ، حتى كانت في غالبية المرات عندمَا تضغط على رقمهdjezzy

يَرُدُّ الصوتُ النسوي (الرقم خارج مجال التغطية).

وحلَّ عيد الأضحى ، وهاهي تباشيره تلوح من بعيد ، إنتظرت أريج المعايدة و عبارات التهنئة من طرف حبيبها ، وهاهو اليوم السعيد بالعيد ، مع الصبيحة و الساعة تقارب التاسعة صباحًا رنَّ هاتفها ، لكنه من كشك الهاتف الثابت من مدينة الشلف ترد :

ألو من ؟

تَسْمَع نَبَرات صوت حبيبها "مالك" وهو يهنئها بالعيد السعيد ، تسأله أريج بعض الأسئلة عن أحواله ، وعن الغيابه الذي طال ، يرد الشاب عن أسئلتها بكل بساطة ويسألها عن إمكانية رؤيتها هذا المساء أو صبيحة الغد ؟

ترد أريج أنها ستتسوق غدًا في مدينة الشلف ، وأنها تنوي الذهاب إلى "بقعة زواوة" يتوعدا على صبيحة الغد .

ويأتي الصباح ، وتتزين الفتاة وتتلطف لكنها تحافظ على بساطة هندامها وتحاول أن لا تلفت إنتباه من حولها لما هي عليه أو ذاهبة إليه .

تخرج والخريف ينثر أوراق الشجر ، ويعد العدة لفصل آخر ، وتأخذ سيارة طاكسي

إلى وسط المدينة ، تصل بعد التاسعة بعشر دقائق ، وتسير في شوارع المدينة بتأني تبحث بعيونها في كل مكان ، فيمن حولها ، ومن أمامها ، علَّها تجد من تبحث عنه تنظر ساعة يدها ، وتحاول التغاضي عن النظرات من حولها ، فاليوم يوم جمعة وهو يوم عطلة نهاية الأسبوع .

لا تجد مالك : تأخذ محمولها ، وتضغط على رقمه لكنه لا يرد ، ولكن هاهو يظهر رقمه على شاشة محمولها فيقول لها:

أين أنت ؟

أريج : عائدة إلى البيت .

مالك : إنتظري ، أنا هنا بمدينة الشلف ، كيف تغادرين وقد تركت كلَّ شيء وجئت لرؤيتك ؟

أريج : (بكل هدوء) أين أنتَ ؟

مالك : في محطة الحافلات أسير نحوى وسط المدينة .

أريج نلتقي قرب بناية البلدية ، أتعرف مكانها ؟

يرد "مالك" بالإجاب ، ويسرع نحوها حتى تظهر أمامه هناك وترد بصرها إلى الخلف فتجده يسرع الخطى نحوها، ترفع مظلتها عن وجهها وتنظره .

تذرف السحابات حبات مطر متفرقة ، وتتواصل في التهاطل ، برد الجو وأحست الفتاة ببرودة تجتاح جسدها ، وتسكن عضلاتها ، تجمع قميصها إلى صدرها وتخفي برودة وصلت أطرافها ، ويديها .

يقف إلى جانبها ، ويقبلها على خدودها ، تستلطف السير إلى جانبه وترد أنفاسها :

ماذا هل نحرت أضحية العيد ؟

مالك: هذا صحيح وأنا من سلخها ، وتركت لهم تعليقها .

أريج : جميل لكن لماذا تأخرتَ ؟

يرد عليها مالك أنَّه إلتقى بصاحبه الذي راح يحكي معه عن أحواله ، وما يقوم به في يومياته ؟ ولولا تحججه بأعمال خاصة لطال مكوثه معه حتى هذه اللحظة .

تنتبه أريج إلى حديثه ، وترد عن حقيقة شعوره نحوها ، أو لم يعد يهتم لرؤيتها ؟ لكن مالك يضحك عليها ، ويبادلها الهمسات :

هل إشتقتِ لي ؟

أريج : كما ترى حتى الموعد جئته قبلك .

ينظر مالك حبات المطر التي قلَّتْ وأصبحتْ متفرقة وبعيدة زمن التساقط ، لو كان بيدي لكنا الآن ببيتنا ، لكنها الأقدار وحكم لا نقدر له ردًا .

ترد أريج : كلامك يحمل غرابة لا تفسَّر ، وهاهو العيد يمر ماذا ننظر كذلك؟

مالك: ننتظر فرج الله.

تنظرهُ أريج وهي غاضبة : وإذا قلت لك لا تكلمني مرة أخرى ؟ وسنبدأ بتقليل مقابلاتنا فماذا تقول ؟

مالك وهو يتَحنَّن إليها : لا تكوني قاسية ، لو كان الأمر بيدي لناولتك ما تتمني لكنني لا أقدر الإقتران بكِ الآن ؟

يسيران صامتان وقد أخذا طريقًا لا يأخذه إلاَّ القليل من الناس .تتوقف حَبَّات المطرِ عن الإسترسال ، لكنَّ الجو بارد والنفوس باردة يسيران لا يتحدثان إلاَّ قليلاً .

....

تخرجُ أريج من مكتبها ، وتقف بالخارج ، تتمشى بساحة الوزارة ، وقد ظهرت وحدتها تملأ حركاتها ، تسامر خلوتها .

إنَّ فتاة في عمري عاشت من الإنتظار آلاف السنين ، وهذا مالا يقاس بالأعمار بل هي أعداد لأيام وأكثرها كان زخم وألم وأوجاع .

فتاة لها حبيبٌ يُظهر لها مَعزةٌ لا تنتهي ، وفي باطنه جنة ورِضَا يَملأ الدنيا ، فتاة

أحَبَّت فتى فإستبدلني بكلام وأوهام لا تنتهي .

وقفت تحت جذع شجرة قوية الجذع تنظر بلطف ، وذاكرتها تعيد مؤلم أن تراقب من أحببت خصوصًا إذا فارقك وعاش مع أخرى ، ولا تزال خواطرها تأخذها إلى بعيد ، وتمسحت وجهها ماذا لو أترك هذه الفوضى التي تغم القلب وأعود إلى المكتب لعلَّ المدير إستأخرني .

وهذه هي الأيام يوم لي ويوم عليا ، وكما كنت أستلطفه ، بان في فكري وجهه الثاني الذي لا يريد لي غير الرحمة والخير ، وغرضه من علاقتنا ظاهر ولطيف .

....

صَبرت أريج على الأيام ، ورفضت العديد من طلبها للزواج ، وحَرصَت على عدمِ تكليم مالك في الهاتف حتى يتكلم هو ، وكتبت له sms يا من جرَّحتني ، وجُرحي يؤلمني ، أقول لك نسيت ولم تعد تهمني .

وعادت الأيام تتورَّد وتُزهر ، والطقس يتبسم ، وحان وقت عودة العشاق لأحضان اللقاءات الحميمية ، أريج لا تنسى أنَّ هناك من كانا عشاق وجمعهما بيت واحد وأنَّها لا تزال تحتفظ بعلاقتها مع مالك ، رغم فتور هذه العلاقة وتذبذبها .

فليس الحب أن تكون بقرب من تحب ، ولكن الحب أن تكون بقلب من تحبْ ولأنَّها تحمل ذاكرة لا تكف عن العبث بتفاصيل تؤلمها ، لأنَّها إصطدمت بحبها الذي لا يرسيها على درب .

تجلس أريج في غرفتها ، والساعة الخامسة ونصف ، تستريح وتنعم بهدوء ، لا تريد إعادة ذكرياتها وترشيد أفعالها ، فالغير ينظر إليها أنها فتاة يتمناها كل شاب ولكن من تقدم إليها هم من الشباب البطال الذي يحتاج إلى إمرأة تعمل مكانه ، أو أن تعمل وتضع المال في جيبه .

يرنُّ هاتفها وترى رقمه على شاشة هاتفها ، تحمله وتسمع صوته :

كيفَ الحال ؟ هل نلتقي بوسط المدينة غدًا ؟

أريج : هل لا زلت تحبني ؟ وتتذكرني ؟

مالك : وهل هذا كلام ؟

أريج : وأنا لا أتمنى رؤيتك ، ولا أتمنى رؤيتك ؟

مالك : لا لا تقولي مثل هذا الكلام ، أحبك وأحلم بك مرافقة لي .

أريج : كرهت هذا الكلام ، وكرهت ساع صوتك ، لا تكلمني مرة أخرى ، وتغلق الرقم في وجهه ، لكنه يعيد الرنَّ عندها ، وبمجرد ما يتوقف ، يعيد الرنَّ عندها .

ترفع الهاتف بعد عدة محاولات منه فيقول لها :

تعالي غدًا السبت إلى وسط المدينة سنتحدث عن حياتنا .

تغلق الهاتف وتتكمش في فراشها ، حتى تتغطى بغطاء ، وتلوي رأسها ، وتغمض عيونها بهدوء ، وتغفو حتى تسمع صوت أمها وتارة أختها تناديها أن حان وقت العشاء تعالي إلى المطبخ .

تنطفئ أشعة الشمس ، وتميل إلى وكرها تغادر مقابلة وجه الأرض ، وتظهر زرقة وصفاء ، يعلوهما قمرٌ ببدايته ، وحلَّ الهدوء والصمت حتى خرج الوطواط و الصرصار من كل مكان ، يَمرُّ ويتمرر في الأجواء .

تنهضُ باكرًا وترشف قهوتها ، تلبس وتتعطَّر ، وتقول لإخوتها أنَّها ذاهبة للتسوق .

تخرجُ أريج وتغلق الباب خلفها ، وتصل بعد ربع ساعة إلى وسط المدينة ، تواعدا على اللقاء هناك ، وسارت قليلاً حتى سار خلفها ، إنتبهت لصوته فتريثت حتى لحق بها ، صافحها لأنها لم تتقبل تقبيله ، وراحا يسيران معًا .

مالك : ماذا لو نذهب إلى مدينة مستغانم الصباح لا يزال باكرًا ؟

أريج : لا ..لا يمكننا فعل ذلك فالنهار متأخرٌ .

مالك : إذن نذهب إلى البطاح فاليوم طويل وقد نقضي ساعات سعيدة بين الخضرة والبطاح ، نتمتع بوقتنا ، ونذهب في فسحة .

وافقة أريج على الخروج مع مالك إلى الروابي ، وقد وعدها بالعودة المبكرة ركبا سيارة طاكسي التي إنطلقت بهم إلى بلدية عين مران ، لقد قيل فيها أماكن جميلة جدًا ، وماهي إلاَّ مسافة نصف ساعة حتى ظهرت المدينة هناك في العال وقفا بمحطة السيارات ، ونزلا مترافقان ، توجها إلى طريق ترابي خال من الناس وسارت بجانبه ، وفجأة سمعت أريج شيئًا يتحرك ، فإختفت خلف مالك بسرعة وما إن وصلا إلى المكان حتى ظهر "كلب" يبحث في كومة زبالة .

وواصلا السير ومالا على طريق ضيق دخلا به أرض نبت قمحها ، وعلا ، فسار أمامها وتبعته بخطوات ثابتة ، لا تسأله ولا تهتم سوى أنَّها معه .

ويتعمقان بالأرض المزروعة حتى يظهر أمامهما شيخ يرعى أغنامه ، ينظر إليهما ويصرخ في وجههما يتقصد غنمه :

أي .. عودي أين أنتِ ذاهبة ، وينظرُ في الفتاة أريج التي تتبع مالك بأمانٍ وإرتياح يبتعدا عن الشيخ ، الذي يمكث في مراقبتهما وهو يسرح بأغنامه ، ومن بعيد يتقصدهما بالنظرات .

يصلا إلى أحد الروابي ويجلسا إلى بعض ، وفي مقابلتهما لا يزال الشيخ يرعى بأغنامه ، تنظره أريج وتقول :

ماذا لو بلَّغا عنا ؟ أو قطع علينا طريق العودة ؟

مالك: لا شيء من هذا يحدث ؟ سوف تري ؟

يصمتا وهما جنبًا إلى جنبٍ ، ينظر مالك فيمن حوله :

لا أصدق أننا لوحدنا ؟

أريج : عندما أكون معك لا يهمني من حولي ، أمَّا أنتَ فأجد كلامك أغرب من

الغرابة ، وأيام لا أدري نِهايتها .

يقتربُ منها مالك ويحتضنها من جانبها الأيسر ، وينظرُ في عيونها :

لا أدري أحبكِ وكفى ، ويطبع على شفتيها قبلة ، تتلطف الفتاة قبله فتقترب منه وترضى بحضنه ، يضمها أكثر ويغرقها في القبل ، بينما تغوص أريج حتى تكاد أن تغرق في النوم .

وتتمَدَّد على الحشائش وتفتح ذراعها ، فيسقط خمارها عن ذراعها ، يدنو منها و يقترب من وجهها ويطبع عليها قبلة ويواصل : حتى الليل لا يرضى بدون قمر ، و هل تتخيلي الإنسان يستطع العيش بمفرده في هذه الدنيا ؟

ويواصل : هل شاهدت صاحب الطاكسي الذي أتينا معه إنه صديقي ، هو رجل متزوج ، وليس له أولاد لأنه عاقر .

أريج : ولا تزال تنظر في وجهه :

وهل عرض نفسه على أخصائي ؟

مالك : بالطبع ، وكلُّ طبيب يقول لا أمل في علاجه .

أريج : وهلْ طَلَّقَ زوجته ؟

مالك : بل هي معه ، لا يَهمهما أولاد .

يَصْمت مالك ، ويطبع على جبينها وخديها الكثير من القبل ويقول :

هل نرحل ؟

أريج : هيا ، وتنهض من مكانها بمساعدة مالك وتتلفت إلى هندامها ترتبها و تتروَّق ، ويسيران إلى بعض والحياة حولهما ربيع وخضرة .

يأخذا طريق ترابي ، والخضرة تحد الحدود ، ومع مرورهما تمتد يد أريج إلى زهرة أو عُشبة تأخذ منها العطر أو البرودة والإنعاش .

يقفا في محطة الحافلات ينتظران طاكسي يحملهما إلى وسط المدينة ، وهاهو النقل

الجماعي يقف أماهما ويحملهما إلى وجهته .

يجلسا إلى بعض فيقول مالك :

كنتُ أريد قول شيء ونسيته ؟

أريج : هل هو مهم ، تذكر جيدًا ؟

مالك : لقد تذكرت صديقي الذي لا يلذْ ، لا يزال يعيش مع زوجته رغم أنَّها قادرة على الإنجاب .

أريج: قادرا على جلبِ أحد الأولاد ؟

مالك: هذا غير ممكنٌ ؟

تلتفتْ إليه أريج ، وقلبها يحمل إليه العبارات التي تحتاج للشرح ، ماذا؟ وقد لاحظت على نظراته التعمق وصمتت ملامحه .

مالك : شعورٌ لا يقاوم أليس كذلك ؟

أريج : هل أبكتك حالته ؟ لا تكن حساسًا ، هناك الكثير في مثل حالته .

مالك : لا أدري الله يكون في العون .

وقف كلام مالك ، وعيونه تحمل إلى بعيد ، وكمن يعاني من ذاكرة لا تكف عن العبث بتفاصيل تؤلم ، ونظرات تحمل كيات فلب جافاه الزمن وأحواله .

وحرص أن لا يقول شيء ، حتى لا ترى به أريج كآبة فتشمت به ، وتلفت إليها يريد الخروج من حالة اليأس وزخم الأفكار .

يمكن للبسمة أن تنطبع على الشفاه مع موجة اليأس و الحرمان ، ويمكن للأيام أن تكون هادئة وجميلة رغم قسوة الزمان .

مسكين قلبي عندما ظنَّ أنَّ الناس يعطفون ويمنحون ، فلا قلب رق ولا قلب حن غير أريج ، التي أحبها قلبي فكيف لي بنسيانها ؟

مالك ملك مفاتيح أبواب قلب الفتاة ، وسلمته السُلطة عليها ، فكانت رغم الكلام تفعل

ما هي مقتنعة به ، والناس لم تسلم منهم .

طويل ليلها ، طويل على قلبها الذي يعاني ، كثيرة هي القلوب التي أبكاها الحب ، و خانها النصيب ، وقلبها من بين هؤلاء ، وهي تعيش اليوم حالته .

جلست أريج لوحدها طويلاً لحظات للراحة ، و لتراجع نفسها ، فاليوم كان حاسم لها ، وعليها أخذ الفرار ، وتجنبت أمَّها وإخوتها ، لترتاح من التطفلات .

لكنَّها هادئة ، لا تُظهر مابها ، حتى مَلامِحها تتبسَّم ، ليستْ صَابرة وإنمَا ليس لديها ما تصبرُ عليه ، وإنما هي تحِبُّ الحياة لأنَّ لديها ما تحبُّ ، فهي تُحبُّ زمَانها و تُهديه أوقاتها ، لأنها راضية بالنصيب وتتحرك وفق ما منحتها قدرتها .

أريج في سنِّ الأربعين ، وتألمت بما يكفي ، فلم يعد لديها داعي للألم ، وعليها إختِيار حياتها ، ولكن مؤلم عليها عندما وجدت نفسها في واقع وحيرة لا تَحتمل حبيب ضيعت معه ثلاثة سنوات ، وصديق لقلبها ظهرت علامات عدم الوفاء عَليهِ مِثل وضح شمس النهار .

ولا تقدر على تركه لأن مالك فعل معها الواجب ، فلقد كان معها واضح لم يكن لها غير ذلك الذي يقترح وهي سيدة الإختيار .

وفي هذا الزخم من الأفكار التي لم تترك لأريج ما تقول ، وبين أخذ وعطاء و فكرٌ مشوش غير مبالي بآتٍ ، يَرنُّ هاتفها فتنظره بحيرة وحزم ، رقم مالك يهاتفها ، تفتح محمولها ، وتسمعه :

مالك : أريج هل أنت بصحة وسلامة ؟

أريج : بالفعل ، وماذا تريد ؟

مالك : أريد أنْ أطمئِنَّ عليكِ ؟

أريج : قلْ لي بصراحة ، من هو صديقكَ الذي دائمًا تتكلم عنه ، المتزوج و زوجته لا تزال تعيش معه رغم أنَّه عاقرٌ ، وهي تنجبُ ،ثمَّ وهي تتبسم (الراضية

بالنصيب)، قل لي من هو ؟ أو تريد أن أقل لك من يكون ؟

مالك : هو صديقي .

أريج : هو أنتَ..أنتَ ذلكَ الذي كان متزوج ، وإكتشفتُ أنَّكَ لا تنجبْ أولادًا ، بل من المستحيل أن تنجبَ ؟

مالك : بالفعل ..هو أنا .

أريج: ومن هي ، أليست إبنةُ خالتك ؟

مالك : هي من الجنوب الجزائري ، من "تندوف" عندما كنت أعمل هناك .

أريج : ألم تكن غبنت خالتك ، وتزوجتها مباشرة بعد تحصلك على عمل ، وفي سن العشرين من عمرك ؟

مالك : هذا ماضٍ وإنتهى .

أريج : واليوم أنتَ تعديتَ الأربعين من العمر ، ماذا تريد الآن ؟ ، هل أستمر مع رجل خانني ؟ ، و كثر كذبه ؟ ، أرفض الحلم بكَ ؟

مالك : أرجوكِ لا تقولِ هذا ؟ أحبكِ ، ولا أَقدرُ على نسيانكِ ؟

أريج : لا أريد البقاء مع الغباء ، فلا صوتكَ ، ولا وجهكَ يَهمني .

مالك : أحبكِ مهما كانت الظروف .

أريج : لو صارحتني من قبل لكان أفضل ، وما كنا لنضيع ونُضيِّع أنفسنا ، على وجه الحقٍ كنتُ بَحثت لنفسي عن اَخرٍ .

مالك : لا تكوني قاسية ، فالقلب لَحمة لا يحتمل كلَّ هذا الوجعِ ، الأيام وأنتِ ؟

أريج : (وبلهجةٍ قاسية)، وماذا تريد مني ؟ هل تتزوجُ من أخرى وأُحْضرُ لكَ هدية الزفاف ؟ أم أجلسُ إلى جانبكَ نبكِي حظكَ العاثرَ ؟

مالك : لا أدري أحبكِ وفقط ؟

أريج : قلتَ لِي مرةً أنَّ النساء كُثر ، ولو شئت لأخذتَ واحدة وإثنان ، هيا أرِينا ما

أنتَ فاعلٌ ؟

مالك : عيوني على قلبك ، لا يوجد من هي مثلك ، لقد إشتريتكِ ، لا تهمني أخرى .

أريج : وأنا صَريحة معكَ ، الأيام كفِيلة بأنْ تُنسِينا ما كان بيننا ، أو أقلْ لكَ إنَّنَا بِسِنٍ تَعَدينَا فيه أحلامَ المراهقين والعشاق ، والعقل عليه أن يختار ، أو تريدني أنْ أبقى عشيقة لك على الدوام ؟

مالك : أفضع المواقف أن تتركيني وأنا بحاجة إليكِ ؟

أريج : وأفضعها عندما تجد نفسك أحببت شخصًا كان يخونكَ ؟

مالك : إرتاحي الآن ونتحدثْ لا حقًا .

أريج : حاولْ أن تنسانِي وأنا كذلكَ ؟

....

لا تُحاول أريج تشويه صورة "مالك"ولا تريد تهييج أفكارها ضده ، فهذا الإنسان الذي أحبه قلبها ، وحملته أعوام في شراييِنها ، فحمل قلبها له كل الحكايا ، وأسرار مختلفة ، صَعب عليها أن تكره إنسان كانَ كلَّ حياتها ، وكان كذلك هو .

ولكنَّ الإنسان يختار سير أيامه بيده ، وكما يشاء ، وهي من هؤلاء ، فلا تقلل من سرعة أيامها ، ولا تتباطئ .

أحبت مالك كما النسمة التي تسري وتشعل نار البركان ، وأحبها الشاب كما شاركته يقينًا ورغم كل الشكوك ، وتعيش الآن أحاسيس غريبة دخيلة ، لا يحسها إلاَّ من إكتوى بنيران عشق وكانت نهايته خداع الحبيب له .

لا يزالُ الربيعُ يُغطي الأرضَ ، وهاهي الأزهار والأعشابُ تلطفُ الأماكن ، وتبعث التفاؤل في القلوبِ ، تَرَافقا الطيرُ وتشابكت أيدي العشاق ، تَبسَّط الوجود يحتفل بِعَودة البسمة للمحروم ، وإنشقتْ الدروب تحتفلُ بالعائدِ وبفرحِ القلبِ المكروبِ .

إلتحقتْ أريج بعَملها في صَبيحة يوم الأحد من شهر أفريل ، ودخلت مكتبها

صَامتة هَادئة ، ليسَ لأريج صَديقات في العمل ، ومَا بينها وبينهن التحية والسلام المتبادل ، وعُرِفَت بالحِشمة والأدبِ فلا تكادُ تكون في عَملها غير ما يطلب منها من شغلٍ ، لكنَّ خسارتها ظهرت في تعاملها مع الشباب ، فلا تتمنى شابًا مراهقًا أو بطالاً ، بل مبدأها كان إكتمال صِفة الرُجول فيمن تحِبُّ .

لا تُحِبُّ وِحْدتَها ، ولا تُحِبُّ الإجتماع لصَديقاتها بالعمل ، تريد أريج من يُغيِّر صِفة كلامَها وتفكيرها ، تُحِبُّ الحديثَ لمنْ لا يعرفُ دَربًا لآلامِها ، تُريد إرَاحة قلبَها مِمَن أبكاها على حَظِّها .

أريج فتاة هادئة ، ولا تحب صخبًا ينغص هدوءها ، ويعكر صفوتها .

لم يغب عن قلبها الحب ، ولم يتغير شعورها إلى حبٍ ، لكن عندما غاب ذاك الشعور اللطيف عندما تحس أنها بجانب من تحب فقد تركت كل شيء خلفها و سارت إلى الأمام ، تبحث عن أحنُّ منه ولا زالت تفتش .

ومن الوجع لا تستطيع التفكير ، ولكن فكرها يطير إلى هناك ، وقلبها يذرف دموعًا على ما كان معها من قسوة الزمان ، تئن نفسها ، وينزف قلبها من الحسرة تُخَاطِب رُوحَها وزمانها :

هلْ كانَ كلَّ هذه الأعوام يُخفي الظلمَ بصَدره ؟ .

هل كان يتعلَّم من علاقتنا كيف قتلتهُ من سبقت برحيلِها عنه ؟

أم كان يتلذذ بتعذيب قلبي الذي لم يجد من يُنْهِضُهُ من سُبَاتِه ؟ .

حتى صديقه الذي كان معه (شهم) والذي كان يعلم بعلاقتنا لم يَرِقْ قلبه على قلبي المسكين ، وهو يَراني أضحك إلى جانبه .

صَراخات من قلب يستنجد ، ويطلب الشفقة والرحمة ، يُذرف دمعة رطبة و رقيقة ، لا تستطع توقيفها الأجفان .

هي نظراتٌ دامعة تنادي ، وعيون فقدت الأمل ، وتعيش العذاب والقساوة .

تراقصَت أهْدابها على حزن قلبها ، حتى أحَاسيسها جَمدت ولم تَعد لها قُدرة .

الساعة تقارب النصف ساعة من منتصف النهار ، لا تزال أريج بعملها في هذه اللحظة تسمع هاتفها المحمول يرنُّ من حَقيبتها ، تَبحثُ عنه في الجيوبِ وترفعه وتردُّ : منْ ؟ تسْمع الصَوت خافتًا

مالك : كيفَ الحَال ؟

تجتاحُ أريج أحَاسيس بَاردة ، وترتبك لا تعرف ما تفعل لكنَّها تتَجاهل هذه الحالة وتقول : بخيرٍ ماذا ؟ كيفَ تَذكرتَنِي ؟

مالك : لا تقولِي هذا الكلام ، فحبك بقلبي لا يتركني لحظة ، ولا أقوى على سدِّه كما أومن أنَّكِ تُحبينني فلا تُنكري ، ولا تقسي على قلبك .

أريج : ماذا هل تريدُ مِني أن أتحدث إليكَ في كلام القلب والمشاعر وأتركُ أيامِي تذهب في سَهوة مني ؟

مالك : سأنتظركِ حتى إذا بلغتِ سِنًا لا تجدي من يُرافقكِ حياتكِ كنتُ لَكِ .

أريج : يالله ما هذه الوقاحة ؟ ، وهل تظنُّ أنَّني أقفُ كالبنتِ الوقفْ أنتظركَ ؟ ، لا تكنْ ساذجًا؟ (وبلهجة أكثر حزمًا) إسْمَع إقتراحِي علَّه يُعجبك :

تزوج بإمرأة عاقر ، وستجدها إذا بحثت عنها ، فهناك الكثيرات من يعشن حالتك فتيات طلقهنَّ أزواجهن رغم الحب الذي يملأهما لأنَّهنَّ لا تنجبن أولادًا ؟.

مالك: ياليت كنت أنتِ واحدة منهنَّ كنتِ سهلتِ عليَا المهمة .

أريج : وهناك إقتراحٌ اَخر لماذا لا نتزوج ونتبنى ولدًا ؟

مالك : التبني حرام في الدين الإسلامي ؟

أريج: نأتي بوَلَدٍ من أقاربي أو أقاربكَ ؟

مالك : لن أقبلَ بغير من خرجَ من صُلبي ؟

هنا تجتاحُ أريج مَوجة من الغضبِ ، تَصَاحبت وعدم الرضَى بِما يقُوله مالك

ياليتكَ تغلق هاتفك الآن فلا أقوى على السماع أكثر ؟

تترك أريج الهاتف ، وتترك مكتبها وتخرج لأنَّ المدير بعث في طلبها .

قِمَّة الحزن أنَّكَ تجد نفسكَ مخدوع بعد سنين طويلة من الوفاء ، وقِمَّة ألمٍ للقلبِ عندما تجده دامعًا ولا يقوى على إيقاف حالته .

سَكتت أريج والوجع يقهر سُكوتها ، قلبها يحمل جروحًا ، لكنَّها مُجْبرة على التريُّث فالزمنُ عَابثٌ بالمشاعر ، والإنتباه على حَالتها بَاتَ من الأولوية .

....

أن تعيش أريج في الأحلام واَهات العشاق ، وتحلم بقصص الغرام ، فهذه قشورٌ الحُبِّ الصحيح ، لأنَّها تريد حياة واقعية مع شخص يَحْميها ، وتنْعم بِبُحور الغرام معه وتلمس القمر والنجوم .

كلَّ يوم تعيشه أريج مثل سَابقه ، لا تَغيير ولا دَخيل يأخذها إلى بعيد ، تعيش بقلب دامع منكسر ، وعيون غطاها الضباب ولم تعد لها رؤية صحيحة ، قلب مجروح وجرحه دامٍ ، غارقة في بحور الحسرة وأحاطتها الأوهام ، وسجن قلبها ودخل القضبان ، كتب الزمان على عمرها الجريح ، عالم مليء بالأحزان ، لا مكان للدوران إلاَّ قهرًا وقساوة وحرمان .

تثبتت أريج رغم قوة المدِّ ، وتشددت رغم عنف الظروف ، أغفت نظراتها عن ما لا تحبُّ ، وتلبست الجَلَدَ والحزم .

وهاهي الأيام تشرق مع شمس الصباح ، وتغيب كالعادة مع كل مساء ، والحياة في المنزل مثلها في الشارع ، سير للأوقات وفق ما تمليه حاجة الإنسان ، عشاق و زملاء غارقين في سرِّ الأيام .

حَضَرَتْ أريج في الصَائفة زفاف زميلتها "نرجس" ، وكان لها الحظُّ في الإستمتاع مع جيرانها ، ونساء جاراتها من رحلات صيفية جماعية إلى "مستغانم" ، لم تترك

نفسَها للوِحشة ولا لعذاب التفكير ، بل راحت تُقْحِم نفسَها في مَتاع الحَياة المتنوعة .

لم يُكلِّمْهَا "مالك" مولاً في هذه الفترة ، ولم تَكن لتهَاتِفه، لم تَجِد له عذرًا ، ولا نصيبًا طيبًا يشدها إليه ، لا تدري كيف تكلِّم شابًا بل رجلاً عرفت حقيقة نواياه رجلاً أحبته وكان يخفي ظلمه لها لمدة سنوات ، لا تدري ماذا تقول لمن يحدثها عن قصة تشبه قصتها ؟ هل تنصحه ؟ أم تطلب نصيحته ؟ أم تركض على مدونة ذكرياتها فتمزقها ؟

وكثيرًا ما تَهدأ عاصفة أريج ، ويَصْفو خاطرها ، فمجلس إلى نفسها وتعتزم العودة لِحَياتها ما قبل ثلاثة سنوات ، ولكنَّها غَارقة وعواصفها هوجاء فالفصل فرض حَالته ، قلبُها يُواجه أشرف عاصفة وعليها أن تكون على قدرِ الحال .

ومع الأيام أمست أريج تحيا حياة عاطفية هادئة ، هناك من الشباب من يكن لها الحب ، واَخر يتمنى منها القرب ، ولكن إذا كان الإخلاص أساس ذاك الحب فهو بقلبها بلا أدنى ظنٍ باقٍ .

يرنُّ هاتفها المحمول ذات صباحٍ وهي متجهة إلى عملها ، فتشاهد رقمه على الهاتف

مالك: صباح الخير ، كيف الحال ؟

أريج : بخير ، ماذا ؟

مالك : أردتُ أن أسلِّم عليكِ فقط ؟ ، وبنوع من الحذر ماذا لو نلتقي اليوم ؟

أريج : عندي عمل ليس لديا وقت كافٍ .

مالك : أرجوكِ .

أريج : هاتفني على الساعة الثالثة مساءًل بعد نهاية الدوام .

كانت هذه أريج من تتحدث إلى حبيبِ قلبِها ، ومُرافق هَواها "مالك" حتى تفكيرها وكَلاَمُ الوَعِيدِ مَسَحته لَحظةَ ظُهور رقمهِ على شاشة مَحْمُولها ، ولم تجد عليها أمْرٌ أصْعبٌ من أن تصُدَه وتردُّ عليه بصرامةٍ .

فما أصْعب أن تبقى بلا صوت مَسموعٍ ، ويغادر الجمال مخدعك وتعد كما المحروم وما أصعب أن تبقى بلا ذرف دموع ، وقلبك نازف ومسامه مخنوق .

وما أصعب أن تسكن والقلب بداخلك يتألم .

ذهبتْ أريج ذات المساء وبعد الدوام مباشرة إلى وسط المدينة وحيدة وذكرياتها وقَلبها وأفكارها تُردِّدُ إسمَ شاب أصبح مجهول عندها ، شخصٌ يعيشُ بها منذ زَمَنٍ صَعب عليها مشاهدة العشاق في وُسع ، وهي في ضيق لا يُطَاقُ.

نظراتها تعيش في ظلام رغم الضوء والنور ، وترى السعادة وَهْمٌ رغم الفرح في كل شيء حولها يحوم .

تنزل من سيارة طاكسي ، وتتأنَّى السير ، وحالها يأتي من قلبها وأحواله لا من الجسد الذي يعيش الزمن كيفما جاء .

وهاهو يقف أمامها أمام سيارته البيضاء ، ينظر إليها بنظرات واجمة ، تقترب منه فيركب ويفتح عليها الباب الجانبي لتركب إلى جانبه .

لم تعارضْ ولا تريد ذلك ، ولكنَّها تريد أن تفيق مما هي فيه ، أهو حلم أم حالة ميؤوس منها ؟ أريج تمتلك قلبًا لا يؤذي أحدًا ، ولكنه يُؤْذَى من الغيرِ ، قلبٌ لحنَّ للحياة قصِيدة لم يشأ لها القدرُ التَمام .

فالحُبُّ شعورٌ سهل على القلب الشعور به والعيش على وقعه ، ولكنَّه شُعور صَعب وقفه ونِسيانه أصْعب من شَوكَةِ الشكوكِ ذاتها .

سارت السيارة ، وتعجلت العجلات الرحيل ، فمرت مرور السهم على من يجلس بالشارع ، لا أريج ولا مالك يهتمان لمن يتكلم وراء ظهرهما .

لأنَّ قلبها يعيش الشقاء ، فكمن واحد وواحدة من هؤلاء ذاق هذا الشقاء ، فما أشقى القلب الذي عاش أحلام الحب وفارقه حبه ذات مساء .

لا تريد أن تعيش المأساة لأنَّ قلبها مرهف ، ولا تريد أن تسد الدروب فجأة فالحياة

تأتي بيسر ، ولن تكون من قهرت قلبها لأنه إرتكب في حقها كربْ ، بل لا تريد أن تعيشَ مأساةَ من كانَ لها قلبٌ يَحسُّ بالحياة ومَتاعها ، وفجأة غادرها ذات مساء .

تريدُ أن تكونَ الفتاة التي تمنح الحياة درسًا ، وأن تكون لغيرها من الفتيات الرمز في الصمود والوفاءَ للحيَاة المُتَوَاصِلَة .

نَظَرت في مرآة السيارة ترقب نظراته إلى أيِّ إتِجاه تذهب ، فوجدته في الأوهام غائص ، لا يُديرُ رأسه إلى مكان غير ماهو أمامه بالشارع الطويل .

دارتْ عجلات السيارة البيضاء من نوع 207 بسرعة فائقة ، عابرة للطريق الترابي المحفوف بالأشجار الغير مثمرة ، ردت أريج رأسها إلى من يجانبها :

أين نحن متجهان ؟

مالك : سَنكون في الطريق السيَّار شرق غرب .

أريج: هل هذا ما إستدعيتني لأجله ؟

مالك : تقصدي السيارة ؟ لا ..

أريج : إذن ماذا عندكَ ؟ ، هل من جديد ؟

مالك : إشتقتُ لكِ يا أريج لا تكوني قاسية على قلبي أرجوكِ ؟

تنظر إليه أريج وتصْمتُ ، ياليت القلبَ بلون الشفاف ، ساعتها سترى كيف أحبكَ وعليكَ القلب لا يستطعْ جفاء ، تَمَطَّر قلبُها ، وعرف تقلبات لا يعرفها إلاَّ الطقس العَاصِفْ القاسي برودة بفصلِ الشتاء .

يرد إليها مالك البصر ، ويرفع يده اليمنى ليضعها على يدها التي كانت تنحصر في حِجرها ، نظرت إليها أريج :

لا أدري ماذا تريد أنتَ ؟ أو ماذا أريد أنا ؟ وإلى أين بعدما عرفتُ ماذا بكَ؟

مالك : نبقى على علاقتنا وحينما تجدين اَخر بَدلاً عني سأتركِ ، لكن نبقى أصدقاء على الدوام .

أريج : بالفعل أنتَ تهذي ، هل هناك صَداقة بين الرجل والمرأة .

مالك : ولتكن أوَّلَ صَداقة بينهما صداقتنا .

أريج : سَاعتَها ندخل سِجل المجانين ، يردُّ مالك: أحبُّكِ وكفى يا أَريْج ويواصل:

أحبكِ بكل جوارحي ، أحِبُّ هدوءكِ ، وصَمتكِ ، وأعشق ملامحكِ

يا روح قلبي مع غيركِ أنا في هجرة للجسدِ عن الروح .

أريج : لكن أنا لا يا مالك ، ولأنَّني أحبكَ فهناكَ الكثير من العروضِ رفضتها ، ليس بسبب حُبنا وإنَّما فيها مالا يستحق القبول به ، وكذلك هي رغبة القلب الذي عارضها رسائل حملتها إليا الأيام ولم أتجرأ على فتحها ، إلاَّ رسائلكَ ففي قلبي حَملتها ، فَعِلَتِي أنتَ دَوَاؤُها ، لكنني أقولها لك الآن لن أبقى إلى جانبك ، وشمس حبنا يجب عليها أن تغرب .

مالك : أتركي علاقتنا للأيام ؟

أريج : لم تَعدْ للقلبِ قدرة ، والقلب لا يَقوى إخْفاء كلَّ هذه الأحاسيس ، أحلامي سَتهربُ من بين يَدي فلا تُخفي ما يجِب إظهاره .

هذه هي الأيام ، وهذا مَا منحتنا إياه ، ولا يزال رَسْمه بالبال ، لا يقدر البَردان العيش بدون دفء ، ولا يستطعْ القلب أن يحيا بِلا مُتعة ، ولا الصغير بدون صَدر أمٍ ، فالعشق هدية الحياة للقلب ، كما الشمس هدية للأرض .

عاشتْ سِنين في حبِّه ، حتى جَمَعتْها الأيام في حِكاية للعشَّاق ، و لكنَّها لم تقدر بيع العِشْرة بينهما .

تريدُ أن تنساه ، رغم ما كان بها من كلام العشاق يَصرخ بها من الأعماق ، وقد تركَ بِها دُروبًا من الأشواق ، كانتْ لها أحلام معهُ ، لكنَّها طارت من بين يديها وتَفطَّنَت لحياة الأحلام التي تعيشها .

توجَهت أريج في الصباح إلى عملها ، وبَسْمتها تُهْدي الوجُود ورودًا وأمان ، فالحياة

بِدون حُبٍ هِبة لا تُطاق ، وكما للحُبِّ قوة فهو القادر على أن يجعل الصَعب سهل هو كذلك إبتسامة وذكرى جميلة .

وَوجِدَ الحُبُ لإسْعَاد الناس فهو أقوى عاطفة ، وأريج فتاة عاقلة لم تتركْ هذه العاطفة تعصفُ بحياتها ، فتكونُ كما الوَرق المَنثور ، بل جَمعت عَواطفها وطوَّعتها لتكونَ رَهن إشارتها ، فالغيرة تُولدُ مع الحُبِّ ، والحُبُ هو تلك الدموع ، وأن تبكي يعني أنَّ لك قلبٌ يُحبُ ، تَصَفحتْ أريج حالتها وفَدتْها بعُمرهَا البَاقي، لأنَّها ستدخلُ حياة جديدة ، وضاعفت من صَلابةِ قلبها مُشفقةً على حَالتها .